OPEN ACCESS
Journal of Arabic Research (AIOU)
jar.aiou.edu.pk
iri.aiou.edu.pk

الفروسية والصعلكة في الشعر العربي

Chivalry and Tramp in Arabic poetry

د. كفايت الله همداني
رئيس قسم اللغة العربية، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد

ABSTRACT

Chivalry and Tramp are the two prominent features of Sa,alik Poets. Tramps (Sa,alik) is a name given to a group of Arabs in the Pre-Islamic era, who lived and launched their movement in the Arabian Peninsula. They belong to different tribes and were expelled from their tribes. Most of the members of this group were glorious poets and their poems were considered as a model in Arabic poetry. This study found that their poetry is distinguished by courage, chivalry, patience , strength, Tramp, determination and spirit. The method used for this research was descriptive, analytical and qualitative. The Study also found that although they faced poverty , hunger and deprivation but still they were optimists and positive thinkers. The purpose of this research was to analyze the elements of chivalry and tramp in Arabic Poetry.

Keywords: Chivalry, Tramp, Arabic Poetry, Optimist, Courage.

إن ظروف الحياة الجاهلية بما فيها من قساوة و خشونة من جهة ، و نزاعات قبلية من جهة أخرى فرضت على رجالها التحلّي بصفات معينة تتناسب و تلك الظروف ليتسنّى لهم التكيّف معها، ولعل أبرز تلك الصفات هي الجراءة والشجاعة والكرم و الإجارة التي تندرج ضمن إطار الفروسية التي تعدّ ضرورة لا بدّ منها في مجتمع قبلي يقوم على المنافسة والصراع من أجل ضمان الحياة واستمرارها مدّة أطول في تلك الظروف القاسية ، فأصبحت الفروسية صفة غالبة على معظم أبناء الصحراء العربية إن لم يكن كلّهم ، فقلَّما نجد عربياً في البادية لم يكن فارساً ، حتى جعلها عنترة فرضاً على كلِّ عربي وإلاّ فلن يستحق الذكر الحميد ولا حتى نعي الناعيات بعد موته ، فيقول[1] :

إذا قنعَ الفتى بذَمِيمِ عَيْشٍ وكان وراءَ سجْفٍ كالبناتِ
ولم يَهْجِمْ على أُسْدِ المنايا ولم يَطْعنْ صُدورَ الصافِناتِ
ولم يقْرِ الضُّيوفَ إذا أَتَوهْ ولم يُروِ السُّيوفَ من الكُماةِ
فقُلْ للناعياتِ إذا نَعَتْهُ ألا فاقْصِرْنَ نَدْبَ النادباتِ
ولا تَنْدُبْنَ إلاّ لَيْثَ غابٍ شُجاعاً في الحروبِ الثَّائراتِ

والجذر اللغوي للفروسية (فرس) وقد تناولتْها المعاجم في معانٍ عدّة ، منها ما ورد في لسان العرب: الفرس : واحد الخيل والجمع أفراس، فرس الأسد فريسته يفرسها فرساً، وإفترسها أي دقّ عنقه ، وقالوا : الفرس ، والنخع وهو أن ينتهي بالذبح حتى يصل إلى النخاع ، والفرس للذكر والأُنثى ولا يقال للأنثى فرسة، وراكب الفرس فارس أي صاحب الفرس، والفارس الحاذق بما يمارس من الأشياء كلها[2]. أمّا في الأصطلاح ، فالفروسية " مظهر من مظاهر الحياة نشأ نتيجة عوامل إجتماعية وأخلاقية وحربية وتطوّر وفق أساليب حيوية شاملة وقد ساعدت في تطوّره فطرة عربية سليمة وجدت في المثُل السامية قيمها الحقيقية وهدفها الذي تسعى إليه[3]".

يتضح لنا في التعريف السابق أن الفروسية ليست مجرّد علم بفنون القتال وإستعمال السلاح وركوب الخيل إنما هي تحلٍّ بالقيم العليا والمثل الأخلاقية الرفيعة، و يساعد في ثبات ذلك ما يتّسم به العربي من فطرة سليمة، وإلا لما كان العرب يفخرون بفرسانهم و يلوذون بحماهم ، فقد اعتزّ العرب بفرسانهم وافتخروا بهم أحياءً وبجّلوهم و صانوا جميلهم و حفظوا ذكراهم أمواتاً[4]. ولم يكن الفارس في نظر الآخرين إنساناً اعتياديا، بل" كان البطل في القبيلة وفي عهود الحياة الأولى للأمم يعدُّ شخصاً مقدّساً، بل كانوا يظنونه أحياناً من سلالة الآلهة[5]".ولم تختصّ بالفروسية

فئة معيّنة في المجتمع فقد كان معظم العرب فرسانا بإختلاف طبقاتهم الإجتماعية، فالفروسية هي التي تمنح معتنقيها المنزلة الرفيعة والمكانة السامية في المجتمع[6]. ولم تمنح القبيلة الفارس تلك المنزلة إلاّ لما يتحلى به من صفات تجعله أهلا للثقة ومحط الأنظار والإعتزاز والتقدير، ومن تلك الصفات،أن يكون حاذقاً في ركوب الخيل وإستعمال السلاح، وفنون الإغارة، وأن يكون همّه إغاثة الملهوف وإجارة المظلوم لا إحراز الغنائم، وأن يكون فصيح اللسان بليغاً فيكون إما شاعراً أو خطيباً وأن يتجنّب فاحش القول وبذيئه، وأن يكون عفيف النفس ملتزما بالتقاليد والعادات، حليماً صبوراً يعفو عند المقدرة كريماً[7]، يطعم الجائع ويكرم الضيف[8]. أمّا أهم الأسباب التي دفعت العربي إلى اعتناق الفروسية ، فهي

فكرة الموت والفناء التي جعلته حريصا على بلوغ الخلود المعنوي من خلال تلك الخصال الحميدة والاتصاف بها؛ لأنه يعلم أنه لا فرار من ذلك المصير المحتوم فليس أمامه سوى مواجهته ببسالة وجرأة. فقد أدّى عامل القحط والجفاف الذي تعاني منه البيئة الصحراوية إلى إنبثاق ظاهرة الفروسية، إذ كان دافعاً لإغارة بعض القبائل على بعض وسلب خيراتها لضمان البقاء، فضلاً عن " شعورالعرب بالضعف أمام قوّة الطبيعة وقسوتها فرض عليهم تقديس القوّة والبسالة[9]". وكذلك حماية القوافل والقبائل من الغارات المعادية ومن قطّاع الطرق (الصعاليك)، فحملت بذلك الفروسية بُعدين : الأول : البقاء وإستمرار الحياة ، رغبة تسيطر على نفوس الجاهليين ولاسيّما أنهم لم يعرفوا حياة أخرى غير التي يعيشونها لذلك حرصوا على استمرارها أطول مدّة ممكنة وسط هذه البيئة القاسية التي تنذر كلّ من فيها بالفناء ، والثاني ، الخوف من الفناء والإيمان بحتميّة وقوعه واليأس من بلوغ الخلود المادي فحرصوا على إيجاد البديل الذي يتمثّل بالخلود المعنوي ، وكانت الوسيلة لبلوغ ذلك الفروسية بما تحتويه من صفات إنسانية وأخلاقية نبيلة ، لأنها قبل أن تكون دقّ أعناقٍ وسفك دماءٍ كانت شهامة ومروءة .

لم يكن اختيارنا لهذه النماذج من الشعراء إختياراً عشوائياً، فقد حرصنا على أن يكونوا من طبقات إجتماعية مختلفة فكان فيهم السيّد، والأسود ، والصعلوك ، وفيهم من طبقة العامة من أبناء القبيلة ، وهذا لا يعني أنّ هؤلاء هم من يُمثّل الفروسية في العصر الجاهلي فقط ، فالجزيرة العربية أنجبت فرساناً كثراً قد لا يتّسع المجال لذكرهم وإن تحدّثنا فسيطول الحديث عنهم، ولكن يتوّجب علينا ذكر بعض هؤلاء الفرسان، وهم: قيس بن زهير ، وعمرو بن كلثوم ، وعمرو بن ودّ العامري، والأعشى، وزيد الخيل، والمهلهل بن ربيعة،وخفاف بن نُدبة ، ودريد بن الصمّة ، وعمرو بن معد يكرب ، وبشر بن أبي خازم ، وآوس بن حجر ، والعبّاس بن مرداس ... ومن الصعاليك ،عمرو بن براقة ، وعبدة بن الطبيب ،والأعلم الهذلي ، وعمرو بن عجلان ، وحاجز بن عوف الأزدي، وأبو خراش الهذلي ، وأبو الطمّحان القيني ... .

ثمّة فرق بين الفروسية والصعلكة يتطلّب الأمر الوقوف عنده ليتسنى لنا بيان الإختلاف بينهما ، فـ(الصعلكة) ، معناها الفقر والصعلوك الفقير الذي لامال له .[10] وكانت تُطلق صفة الصعلكة على فقراء القوم وخلعائهم واللصوص وقطّاع الطرق الذين إختاروا اللجوء إلى الجبال والأراضي المقفرة لإهدار دمهم من قبل القبيلة لجرائم إقترفوها ، أوهرباً من أهل المقتول ومشكلة الثأر التي تُطاردهم

مدى الحياة[11] . والصعلكة تعني ايضاً التجرّد من الشيء، ليس في الإنسان فقط ، بل حتى في الحيوان ، يقال تصعلكت الإبل ، إذاتجرّدت من اوبارها وبدت عليها آثار الضمور والهزال في السنام ، وكذلك يقال تصعلكت الخيل ،إذا أصاب جلدها التقرّع بسبب كثرة الركوب والإرهاق و إحتكاك الأقدام على جوانبها[12]. ولكنها تطلق في الغالب على الإنسان الفقير المشرّد ، ثمّ تطورت الصعلكة لتشمل دلالة الفقر فضلاً عن التمرّد الثوري المقترن بقوة الإرادة والرغبة في تغيير الواقع المرفوض ، فقد رفض الصعاليك الفوارق الطبقية في المجتمع الواحد[13]. إذ كان المجتمع الجاهلي مكوّنا من ثلاثة طبقات : الطبقة الأولى طبقة الأغنياء الأسياد ،والثانية طبقة الخلعاء الصعاليك المنبوذة من قبل القبيلة ، والثالثة طبقة العبيد السود وهي طبقة هامشية في المجتمع تعمل على خدمة افراد الطبقة الأولى ، ومعظمهم كان من أسرى الحروب من البلدان الأجنبية أو أبناء الإماء والسبايا[14]، وقد يكونون من أبناء الأغنياء معروفي النسب لكن لونهم الأسود جعلهم في مصاف العبيد ، ومنهم عنترة بن شداد ؛ ولعدم وجود نظام سياسي أو قانون قبلي يُلبّي رغبة الصعاليك في تحقيق العدالة الاجتماعية وإلغاء الفروقات الطبقية عمد هؤلاء إلى تحقيق العدالة المنشودة بأيديهم فأخذوا يُباغتون القوافل التجارية ويوزعون الغنائم على الفقراء من الصعاليك لينعموا كغيرهم من الناس فهم يرون أنّ هذه الأموال من حقّ الجميع لا حكرا على الأغنياء[15]. من هنا أصبح الصعاليك حاقدين على ابناء الطبقة المترفة، متمرّدين على مجتمعهم الظالم لهم ، فخلق لديهم ذلك عقداً نفسية ، تركتها المعاملة السيئة تجاههم ونبذهم من أقرب الناس لهم، فقابلوهم بالتمرّد والسلب والنهب والقتل بوصفها ردود أفعال مناسبة تجاه القبائل التي خلعتهم[16]. لذا فقد قطعوا الروابط الإجتماعية مع أقاربهم وقبائلهم . وأطلق الدكتور يوسف خليف على هذه الظاهرة بـ " ظاهرة ظاهرة التحلّل من الشخصية القبلية[17]"، فلم يعدّ الشاعر الصعلوك لسان قبيلته المعبّرعن معاناتها، الصادح بأمجادها، بل أصبح همّه تصوير معاناته الفردية بشكل خاص ومعاناة رفاقه الصعاليك بشكل عام ؛ لأننا نعلم أن الجاهلي إجتماعي بطبعه ولا يستطيع الإنفصال عن الجماعة[18]. فأضحى هَمّ الصعلوك إقامة مجتمع جديد يقوم على المساواة والتكافل الإجتماعي بغضّ النظر عن الإنتماء القبلي والطبقي فلا فروق تذكر بين أفراد الجماعة الصعلوكية ، وعلى الرغم من فقرهم وجوعهم إلا أننا لم نعثر بينهم على خادم أوراعٍ وهذا ما يدلّ على رفضهم تماماً لفكرة العبودية التي تشجع على تأكيد الفوارق الطبقية بين أبناء المجتمع الواحد، وهو مايخالف نظرتهم في إقامة مجتمع متساوٍ في الوجود الإنساني، فلا وجود لمفردتي السّيد والخادم في قاموس الصعاليك، فوجدوا في السلب حقاً مشروعاً لهم من أجل

العيش بكرامة بعيداً عن الذلّ وإستعباد الأغنياء . وراح الصعاليك يفخرون بجوعهم وفقرهم ؛ لكونه بديلاً لديهم عن حياة الذلّ والخضوع ، فكانت حياة الرعاة الخاضعة ، الراضية بواقعها الظالم في نظرهم رمزاً للذلّ والخمول[19]. ومع ذلك لايمكن إنكار أن الصعلكة صورة من صور الفروسية ، وقد أشار النقاد إلى ذلك ومنهم الدكتور عفّت الشرقاوي في قوله " غير أنّ فقر الصعاليك يرتبط عادة بمعنى كبير من معاني الفروسية والبطولة في العصر الجاهلي[20]". فهم على الرغم من فقرهم يتميّزون بالكرم والإنسانية وروح التعاون والمشاركة والإجارة التي ينماز بها الفرسان ، وقد أثّرتْ ظروف البيئة القاسية وفكرة الفناء ، وطلب الحرّية والعزّ و رفض الذلّ والإهانة تأثيراً كبيراً في نفوسهم فاتجهوا نحو تحقيق " مكانة في هذا المجتمع الذي يحتقرهم ويستهين بهم عن طريق فرض أنفسهم بالقوّة عليه[21] "، واللافت للنظر أنّ في إنسانيتهم نزعة إشتراكية تؤمن بحقّ الفقراء في مال الأغنياء حتى ولو كان مغصوباً متخذين من السلب وقطع الطريق على القوافل التجارية وسيلة لتحقيق هذه الغاية .

لقد حاول القدماء التفريق بين الفرسان والصعاليك بوصف معنى الفروسية هو ركوب الخيل والحذق بأمورها، في حين كان الصعاليك لا يركبون الجياد، بل كانوا رجالة حتى أنّهم كانوا معروفين بسرعة العدو التي تضاهي سرعة الجياد ، وقد أشار الأصمعي إلى التفريق بين الفرسان والصعاليك في قوله : " فيهم أربعون شاعراً مفلّقاً ، وكلّهم يعدو على رجله ليس فيهم فارس[22] ". في حين لا نجد ذلك التمييز موجوداً في الدراسات الحديثة فتُقسم بين الفرسان والصعاليك ، كما قسّموا الصعاليك إلى فرسان ورجالة بحسب استعمالهم للخيل ومنهم د. يوسف خليف في حديثه عن الرماح قائلاً: "وهي من الأسلحة التي يستخدمها الفرسان أكثر مما يستخدمها الرجالة[23]". وأن عدم إستخدام معظم الصعاليك للجياد لا يعني عدم قدرتهم على ركوب الخيل وعدم معرفتهم بإمورها فقد يكون الفقر الذي يسيطر على حياة الصعاليك وراء ذلك ولاسيّما وإنّ أثمان الجياد باهضة قياساً بوضعهم المادّي المعدم ، لذا حتّم الأمر عليهم أن يكونوا رجّالة لا فرسان لا لجهلهم بركوب الخيل ،" وكان الصعاليك يغيرون ركباناً كذلك، فكانوا يجيدون ركوب الخيل والإغارة عليها ، وعدّ بعضهم من خيرة فرسان الجاهلية[24]"، كما يذكر لنا الدارسون أسماء خيول للصعاليك كانت لها شهرة واسعة في الغزوات ، منها(**قرمل)** فرس عروة بن الورد ، و(**النحّام)** فرس السُليك ، و(**الذئبة)** فرس حاجز بن عوف الأزدي[25]. و(**اليحموم)** فرس الشنفرى[26]. ولا يمكننا أن نتجاهل أن كثيراً من الصعاليك كانوا فرساناً لدى قبائلهم

قبل أن يمارسوا الصعلكة وخاضوا معها حروباً عديدة إعتمدوا فيها على خيولهم ، منهم عروة بن الورد وقيس بن الحدّادّية[27].

وقد كان وراء ظهور الصعلكة عدّة أسباب وقد أشار إليها الدارسون بشكل مفصّل لا مجال لذكرها الآن ، ومنهم ، د. عبد الحليم حفني و د. يوسف خليف أهمها أهمها الفقر، والفوارق الطبقية،والسعي وراء تحقيق العدالة الإجتماعية ، وقضايا الثأر، وخلع القبيلة[28]. كما يجدر بنا الإشارة إلى أنه ليس كلّ صعلوك فارساً ، بل هناك صعاليك رضوا بحالة الخمول والضعف والعيش على عطايا الصعاليك الفرسان، وقد أشار إليهم عروة بن الورد بقوله[29]:

لحى اللهُ صعلوكاً إذا جنّ ليلُهُ مُصافي المشاش آلفاً كُلّ مجْزر
يعُدُّ الغنى من نفسه كُلّ ليلةٍ أصاب قراها من صديقٍ مُيسّر
ينامُ عشاء ثُمّ يصبحُ طاوياً يخُتُّ الحصى عن جنْبه المتعفّر

ومن أشهر الفرسان الصعاليك عروة بن الورد الذي إخترناه ليكون أنموذجاً يمثّل فرسان طائفته ، فكان صعلوكاً فارساً عدّهُ الدارسون قديماً وحديثاً من الشعراء الصعاليك ، ومن القدماء الذين أشاروا إلى فروسيته ابن دريد ، فقال عنه : " كان شاعراً فارساً كثير الغارة جواداً[30]"، وقال عنه أبو الفرج الأصفهاني : " شاعر من شعراء الجاهلية ، وفارس من فرسانها وصعلوك من صعاليكها المقدّمين الأجواد[31]". ومن المحدثين د. نوري حمودي القيسي في حديثه عن فروسية الصعاليك ، إذ يقول :" ويُعدُّ عروة بن الورد خير من يُمثّل هذه الظاهرة بين الشعراء الصعاليك[32]" ، فكان عروة بن الورد قمّة في الكرم والإعانة للفقراء والضعفاء حتى جُعل في الصدارة دائماً لحسن أخلاقه ورفعتها وسماحته وجوده ، فراح يطوف القفار من أجل توفير قوت عياله والفقراء ولا يبخل حتى بالقليل الذي لديه ، وإن لم يجد ما يجود به كان إكرامه طيّب الحديث، وهذا ما نلمسه في قوله[33]:

فراشي فراشُ الضَّيف والبيتُ بيْتُهُ ولمْ يُلْهني عنْهُ غزالٌ مُقنّعُ
أُحـدِّثُهُ إنّ الحـديث مـن القرى وتعلمُ نفْسي أنَّهُ سوف يهْجعُ

ولحسن أخلاقه وسماحته قال عنه عبد الملك بن مروان : " من زعم أن حاتماً أسمح الناس فقد ظلم عروة[34]". ينتمي عروة إلى قبيلة عبس وهي قبيلة ذات مكانة إجتماعية ، ولكنه كان يعاني من ضعة النسب من جهة الأم فقد كانت من قبيلة نهد وهي قبيلة لا تمتلك أيّ مكانة إجتماعية تُذكر، ولذا كان يراوده شعورٌ بالنقص من هذا الجانب ، وقد صرّح به في أكثر من موضع ، منه قوله[35]:

ما بي من عارٍ إخالُ علمتُهُ سوى أنّ أخوالي ، إذا نُسُبوا نَهْدُ
إذا ما أردت المجد قصّر مجدهُم فأعيا عليّ أن يُقاربني المجـدُ

وكان لتفضيل والده لأخيه الأكبر وتقريبه إياه وإغداقه عليه بالعطايا وبالمقابل إهمال عروة وهو في أمسّ الحاجة لأبيه أثر كبير في شعوره بالإغتراب ،إذ كان منبوذاً من أقرب الناس إليه[36] فضلاً عن ذلك لحقت به لعنة أخرى و هي لعنة الفقر بسبب ضياع أموال أبيه في حرب داحس والغبراء إذ كان أحد المتسببين لهذه الحرب الطويلة ،فأصبح منبوذاً من قبل أبناء القبيلة لفقره[37], فضاقت عليه الأرض بما رحبت ؛ ليصبح صعلوكاً مُشرّداً يجوب القفار ويواجه الصعاب والأخطار من أجل الحصول على ما يسدّ به رمق عياله والمحتاجين والضعفاء من الصعاليك تلك الطائفة التي أصبح واحداً منها بعد أن ألمت به كلُّ تلك الملمّات . ومع كلّ ما لاقاه من أبناء قبيلته من نبذٍ وإحتقار إلا أنّه كان يُقدّم لهم المعونة في أيام الجوع والقحط الشديد ، فقد كانوا يجلسون أمام بيته طالبين منه المعونة والمساعده[38].

والنموذج الثاني الذي إخترناه في بحثنا هو عنترة بن شدّاد ، وكانت معاناته لاتقلّ عن معاناة سابقه ، بل تُضاف إليها مشكلة السواد الذي إكتسبه من والدته الحبشية (زبيبة) فشكّلت له عُقدة نفسية عميقة ؛ لأنها سبب معاناته الرئيس في الحياة و نبذه وإستعباده من قبل أبيه و قبيلته ، ليصبح عبداً من عبيدها لا سيّداً من ساداتها ، وكثيراً ما كان يُعيّر بسواده و سواد والدته ، و يطالعنا ذلك في أكثر من موضع في ديوانه ، منها قوله[39]:

يعيبون لوني بالسّواد وإنّما فعالهُم بالخُبْث أسودُ من جلدي

وكذلك في قوله ردّاً على من يُعيّره بسواد أُمّه[40] :

فإن تكُ أُمّي غُرابيـةً من ابناء حامٍ بها عبتني
فإنّي لطيفٌ ببيض الظُّبى وسُمْر العوالي ، إذا جئتني

جعل عنترة البديل لذلك السواد شجاعته التي اشتمل عليها بحدّ السيف القاطع وبالطعن بالرماح العوالي فأصبح أشجع الفرسان وأشدّهم، فكانت الفروسية هي الوسيلة التي يسعى بها الى انتزاع حرّيته و نسبه ، و مع ذلك لم يشأ أبناء قبيلته تجاهل لعنة السواد التي أُبتُلي بها ، فظلّت تسمية (ابن السوداء) تطرق مسامعه حتى عندما يرجع مُنتصراً من المعركة ، فلازمه الإحساس بالمرارة حتى إصطبغت به شخصيته وأفكاره وأشعاره التي لم تفارقها نبرة الحزن والألم[41]، فأصبحت من سمات شعره البارزة حتى عانى ما عانى من ذلّ وتحقير من قبل أبناء القبيلة لكن ذلك لم يؤثر فيه إلاّ إيجاباً فأصبح من أشجع

فرسان العرب والصقهم بمكارم الأخلاق وأشعرهم ، وسعى دائماً إلى إثبات كيانه وتعويض ذلك النقص الذي سعى الآخرون إلى زرعه في داخله ، وتأكيد وجوده وبناء على ذلك نجد عنترة يرفض الذلّ والعبودية ، وأخذ يصدح بالحرية ، حتى طغت السمة الذاتية على أشعاره واظهار محاسنه عسى أن تمحو أثر ذلك السواد الذي يراه الآخرون عيباً ، لذلك تميّز حديثه عن الذات " بنزعة إبائية وتجسيد للسمات الإنسانية التي لا تأبه بلون الإنسان أو تقيم إعتباراً للجوانب الضيّقة فيه[42]" . فنراه يفخر بأخلاقه السامية وصفاته النقيّة،التي تمنحه بياضاً معنوياً قد يفتقر إليه الآخرون، فيقول[43]:

تُعيّرُني العِدى بِسَوادِ جلدي وبيضُ خِصائِلي تَمحو السّوادا

تلك الخصال الخالدة التي عرف بها ،حتى بعد مجيء الإسلام كان المسلمون الأوائل يستشهدون بها لأنها قريبة من مبادئ الإسلام مع أنّه شاعر جاهلي لم يُدرك الإسلام[44] حتى روي أنّ الرسول(**صلّى الله عليه وآله وسلّم**) تشوّق لرؤيته لكثرة ما تحدّث عنه المسلمون المعاصرين له في لجاهلية[45]. وهذا دليل آخر على عدم إدراك عنترة للإسلام فلم يلتق بالرسول (**صلّى الله عليه وآله وسلّم**) ، بل وصفه له المسلمون الأوائل ، ولم تكن مشكلة عنترة فريدة من نوعها في عصره، فقد عكف الأشراف في الجاهلية على استعباد أبنائهم السود من الإماء ورفضوا عتقهم إلاّ أن يُقدّموا عملاً عظيماً يكون ثمناً لفكاكهم من أسرالعبودية ، وكان شاعرنا أحدهم إذ كانت فروسيته ثمناً للتخلّص من تلك العبودية ومن ثمّ الأعتراف ببنوّته[46].

أماالنموذج الثالث فهو سيّد قومه عامر بن الطفيل العامري ويُعدّ من سادات أقوى قبيلة في الجزيرة العربية وهي قبيلة بني عامر من هوازن ، وكانت كثيرة الحروب والعداء مع القبائل الأخرى منها غطفان ، ومذحج ، وتميم ، وشيبان ، وعبد القيس ، وقبائل مُتعدّدة أخرى[47]، لذلك نجد معظم شعره في الحرب والإغارة والفخر والاعتداد بنفسه وبفرسان قبيلته والحط من قدر القبائل الأخرى، ولا نجد له نسيباً وغزلاً ، بل كان شعره حربياً خالصاً، ومع ذلك لا يمكننا الجزم بعدم إجادته في أغراض شعرية أخرى ، أو أنّه لم ينَلْ إهتمام النقاد قديماً وحديثاً لكنّه كان مبرّزاً لديهم فعُرف فارس أكثر من كونه شاعراً ، لأن ما وصل من شعره لم يكن إلاّ في الفروسية والإغارة والحروب، لعلّ ذلك يرجع إلى ضياع معظم الأشعار الجاهلية من جانب ، ومن جانب آخر قد يكون لموقفه المعادي للرسول (**صلى الله عليه وآله وسلّم**) أثر في عدم حفظه من قبل المسلمين الأوائل . ولم يكن عامراً يعاني من ظلم أو نبذ وعبودية لذلك لا نجد كثيراً من أغراض الشعر لديه كما نجدها عند الشعراء الفرسان ميدان بحثنا. لكن

تعرّضه لطعنة في وجهه وعينه على يد مُسْهِر بن يزيد الذي أخذه غدراً ، فقد على اثرها عينه فضلاً عن عقمه[48]، فكان لهاتين الصفتين أثر سيء في نفسه فنجده يقول[49]:

لِعَمْري وما عمْري عَليَّ بِهَيّنِ لقد شانَ حُرَّ الوَجْهِ طعنةُ مُسْهِرِ

فَبِئْسَ الفتى إن كنتُ أعوَرَ عاقراً جباناً فما عُذري لدى كلَّ مَحْضَرِ

فهو يجعل من الفروسية والبطولة التي تميَز بها وسيلة لتخفيف ألم تلك الإصابة فلو كان أعوراً وجباناً لكان بئس الرجل.

وقيس بن الخطيم هو المثال الرابع و يُمثّل الشعراء الفرسان من طبقة العامة ، فلم يكن عبداً ولا سيّداً ولا صعلوكاً، ولم يكن يعاني من مشكلة طبقية أو مشكلة نسب ، أسمه أبو يزيد قيس بن الخطيم ، وهو من الآوس من بني ظفر[50]، وكان على العكس من عنترة من ناحية الشكل ، فقد كان حسن الوجه حتى قال عنه أبو الفرج الأصفهاني : " ما رأته حليلة رجل قط إلاّ ذهب عقلها[51]", ومن أبرز ما وصلنا من أخباره أنّه أخذ بثأر أبيه الذي قُتل عندما كان صغيراً وكان قاتل أبيه من الخزرج من بني حارثة.

ومن خلال نظرتنا إلى الفرسان الأمثلة ، يتبين لنا أنَّ الدوافع مختلفة لديهم مع أنَّ النتيجة واحدة وهي إتصافهم بالفروسية و خصالها الحميدة ، فعنترة كان يسعى من خلال فروسيته إلى تحقيق ذاته وإنتمائه والتخلّص من الرقّ والعبودية وما يتبعه من ذلٍ وإهانة ، وسعى عروة إلى تحقيق العدالة والمساواة ومساعدة الفقراء والبذل من أجل الآخرين ، وإيجاد بديل لما فقده من صلات الأهل والأقارب، أمّا عامر فلم يكن عبداً ولاصعلوكاً ، بل كان سيّد قومه ولم يكن يشغله سوى الدفاع عن قبيلته وتحقيق السيادة لها بين القبائل الأخرى وإعلاء شأنها بين العرب، ورابعهم قيس بن الخطيم فلم تكن الفروسية لديه إلاّ لتحقيق مكانة ذاتية وإجتماعية معاً.

الهوامش

[1] خليل شرف الدين ، ديوان عنترة ومعلّقته ، منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، بغداد، ط1 ،2000 .ص : 220

[2] محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ، دار الحديث، القاهرة 1423هـ - 2003م ، مادّة (فرس)

[3] د. نوري حمّودي القيسي ، الفروسية في العصر الجاهلي بيروت . لبنان ، ط1، 2004م، ص :21.

[4] أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، ديوان عامر بن الطفيل العامري ،تح د.محمود عبد الله الجادر وآخر ، دار الشؤون الثقافية . بغداد ، ط1، 2001م، ص :45

[5] د. شوقي ضيف ، البطولة في الشعر العربي، دار المعارف . القاهرة، ط2، 1970م، ص :9.

[6] د. نوري حمَودي القيسي ، البطل في التراث، العراق . بغداد،ط1، 1988م، ص :6.

[7] أحمد بن محمد ، ديوان عنترة، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1960.، ص:61 ،62،63، 75.

[8] د.عبد اللطيف جياؤوك، الحياة والموت في الشعر الجاهلي ، وزارة الثقافة . دار الأنوار، بغداد 2008، ص: 234

[9] د.محمد زكي العشماوي، النابغة الذبياني مع دراسة للقصيدة العربية في الجاهلية، بيروت، 1980م :12

[10] محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب مادّة(صعلك) ، ص:350

[11] علي جميل العبيدي ، عروة بن الورد الشاعر الفارس، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب . الجامعة المستنصرية، ص: 500.

[12] د. عبد الحليم حفني ، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، 1987م، ص:17

[13] د. أحمد الحوفي، الحياة العربية في الشعر الجاهلي، بيروت . لبنان ،1972م، ص : 300 .

[14] أحمد صالح الزعبي ، الأغتراب في الشعر الجاهلي ، (أطروحة دكتوراه)، ص :54

[15] صالح محمد ، الحياة العربية في الشعر الجاهلي، بيروت . لبنان ، ط1، 2009م، ص : 300

[16] د. جواد علي ، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار الأنوار، بغداد 2009، ج 9، ص :602.

[17] د. يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف . القاهرة ، ط3، 1978م،ص :276.

[18] المصدر نفسه ، ص: 276 .

[19] د. عفّت الشرقاوي، دروس ونصوص في قضايا الأدب الجاهلي ، بيروت . لبنان، ص :277.

[20] المصدر نفسه، ص : 378

[21] المصدر نفسه، ص : 378

[22] محمد عبد المنعم الخفاجي، فحولة الشعراء، الأصمعي، دار الجيل . بيروت، ط1، 2005م، ص :31

[23] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك : 202

[24] د. جواد علي ، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،ج9 ، ص: 611

[25] د. عبد الحليم حفني ، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه ، ص: 249

[26] يوسف خليف، شعر الصعاليك ،ص: 228

[27] د. عبد الحليم حفني ، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص : 249

[28] المصدر نفسه، ص :39 .

[29] راجي الأسمر،ديوان عروة بن الورد، شرح إبن السكيت، ط1 ،دار الكتاب العربي ، بيروت . لبنان، 2005م : 49

[30] ابن دريد ، الإشتقاق ، تح عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، مصر،(د . ت) ص :279

[31] المصدر نفسه، ص :39 .

[32] المصدر نفسه، ص :45 .

[33] د. عبد الحليم حفني ، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص : 249

[34] المصدر نفسه، ص : 12

[35] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك : 202

[36] المصدرنفسه ،ص: 323

[37] حسني محمود ، عروة بن الورد الصعلوك الشخصية والمثال، مجلة المورد عدد2، مج12، 1982م : 4039

[38] عروة بن الورد ، الصعلوك الشخصية والمثال، ص :44

[39] درويش،شرح ديوان جميل، ص: 118.

[40] حسن نصار، ديوان قيس ولبنى ، ص: 132.

[41] عبده بدوي ، الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، وزارة الثقافة . مصر، 1973م:22.

[42] القيم الإنسانية في الشعر الجاهلي ، د. جليل رشيد ، مجلة آداب الرافدين ، ع7 ، سنة 1976م : 518

[43] درويش،شرح ديوان جميل، ص: 118.

[44] إعتقد بعض المستشرقين إدراك عنترة للإسلام لورود كثير من المصطلحات الإسلامية في أشعاره ، لكنَ أكّد المؤرخون على أنَه توفي عام(615)م أي قبل ظهور الإسلام بسبع سنوات ، لكن أخلاقه وعفّته كانت من باب الطهارة والترفّع

[45] ديوان عامر بن الطفيل :28

[46] عروة بن الورد ، الصعلوك الشخصية والمثال، ص :44

[47] ديوان عامر بن الطفيل،ص :28

[48] ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، دار إحياء العلوم. بيروت ، ط2 ،1986م، ص :212

[49] ديوان عامر بن الطفيل، ص: 11

[50] ناصر الدين الأسد ، ديوان قيس بن الخطيم،تح: دار صادر ، بيروت . ص : 11،

[51] ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ،ص:212